

تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتأثيرها على العلوم الاجتماعية والإنسانية

د. أحمد البلالي - جامعة تونس

ملخص

يمثل الإعلام أجزاء من تكنولوجيا الاتصال الحديثة بحيث يبت جميع الأفكار على مختلف الإيدلوجيات وعلى اختلاف الآراء وأول المسائل التي خضنا فيها مع مجموع المبحوثين هو معرفة الوسائل الرقمية الأكثر استعمالا والأكثر تأثيرا في العلوم الاجتماعية والإنسانية من خلال نشر أفكار وبحوث ونظريات تدرس الواقع. لذلك نجحت الثورة الاتصالية في إحداث عدد التغيرات على مستوى الممارسات في مجال هذه العلوم. وكانت هذه التأثيرات على مستوى البنى الاجتماعية والهياكل الثقافية المحافظة، فأدخلت حراكا على المستوى الاجتماعي وانفتاحا على المستوى الثقافي.

الكلمات المفتاحية: الاتصال، التكنولوجيا، ديناميكية المجموعة، العلوم الاجتماعية.

Abstract:

Media represents parts of modern communication technology as it transmits all the ideas on different ideologies and different opinions. First of all, we the spot light on the tools that spread ideas and research as well as theories which studies reality. Our query focused on the most widely used digital tools which influence the social and human sciences. Communication revolution has succeeded in making many changes at the level of practices such as on social and cultural structures. Moreover, not only has this revolution led to social mobility but also it has opened horizons at the cultural level.

Keywords: Communication, Technology, Group dynamics, social science.

مقدمة

لكل أمة مفهومات أساسية خاصة بها، تحرص عليها، وتسعى لترسيخها وتثبيت جذورها في شتى المجالات الفكرية والاجتماعية والسياسية وتعمل على المحافظة عليها والاهتمام بها وتأصيلها في أفرادها ومن ثم إيصالها إلى الآخرين باستخدام الوسائل المتاحة كلّها. وهذه المفاهيم هي ما يمكن أن نطلق عليها اسم الثقافة التي تعتبر حصيلة مقومات شتى تكوّن في النهاية صورة معينة وشخصية خاصة لأي أمة بكل ما تحمله من تصورات وأفكار وآمال وتطلّعات عميقة الصلة بالمجتمع "لأنها تحوي عناصر الفكر، والتّصور، والاعتقاد التي تشكّل بدورها الأرضية الفكرية للبناء الأخلاقي، وتركيب شخصية الفرد بنواحيها العقلية، والنفسية، والروحية"² من خلال مساهمة وسائل الاتصال الحديثة في التعريف بعديد من البحوث الاجتماعية وإبراز دورها في وصف الحياة الثقافية والاقتصادية والتاريخية للبلاد لأن هناك ترابط بين العلوم النظرية والتطبيقية. وبذلك تمثل الثقافة أداة تساعد الفرد على التكيف في المجتمع، فهي وسيلة يستطيع من خلالها الفاعل الاجتماعي أن يتكيف بسرعة مع التغيرات التي تطرأ على البنية الاجتماعية وتزيد أيضا من قدرته على استخدام ما هو موجود في بيئته، فهي تتكوّن من عناصر وسمات مادية وفكرية تتجمّع مع بعضها في نمط أو أنماط ثقافية تترابط وتتكامل من أجل بناء تشكيلات حياتية تعبّر عن نسق من أنماط الاعتقاد والسلوك التبادل. وبالتالي تمثل التكنولوجيا من أهم الظواهر التي أصبحت تؤثر ثقافيا في العلوم الاجتماعية. ولذلك فانه ينبغي النظر إليها " كأشياء واقعية مستقلة لا تتعلق بوجود أفراد معينين. وبناء عليها يمكن دراستها كأشياء مدركة" عبد الدائم عبد الله، 2000.

1- المنهجية المتبعة في الدراسة :

اختلفت زوايا البحث المتعلقة بالفرد والمناهج التي صاغها الدارسون في تناولهم للوقائع الاجتماعية المتعلقة بهذا الفرد " وإذا ما نظرنا إلى المنهج والمنهجية في إطار البعدين الثقافي والإيديولوجي نجد أنّ المنهج هو طريقة البحث عن الحقيقة، أو هو الطريقة التي يستخدمها الباحث في دراسته لمشكلة أو موضوع ما . والمنهج مفهوماً عاماً وخاصاً، أما العام فهو رؤيتنا الشاملة للمجتمع والخاص هو طرق ومناهج البحث الخاصة".

وبالتالي فإنّه من الضروريّ أن يستعين أيّ باحث بتقنيات تساعد على فهم عملية التفكير الاجتماعي الذي يميّز المجموعة الاجتماعية التي تناولها بالدراسة والتي سيرأى فيها بين المنهج الكمي والكيفي لأنّ طبيعة الموضوع دفعت بنا من جهة إلى الاستعانة بالمنهج الكمي من أجل التوصل إلى نتائج محدّدة ومن جهة ثانية إلى الاستعانة بالمنهج الكيفي وذلك لفهم تصوّرات الفاعلين حول تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتأثيرها على العلوم الاجتماعية.

أولاً: المنهجية الكمية

- عينة البحث

حاولنا أن نتطابق العينة التي اخترناها مع مجتمع البحث الأصلي ولقد استخدمنا لهذا الغرض العينة العشوائية ، لقد وقع الاختيار على طلبة المعهد العالي لتنشيط الشبابي والثقافي ببئر الباي بتونس برصد مدى تأثير وسائل الاتصال في العلوم الاجتماعية ومدى مساهمة الثورة في التغيير الاجتماعي. فاختيار المجال المكاني للعينة سيساعدنا على الإلمام أكثر بمجموع المواقف للشباب حول تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتأثيرها على العلوم الاجتماعية والإنسانية خاصة وأن هذه المؤسسة مختصة

في العلوم الاجتماعية ونتوقع أن تساعدنا على الإجابة على مختلف المسائل التي سنحاول الإجابة عنها عبر البحث.

هناك ترابطا بين العلوم النظرية والتطبيقية وهو ما أبرزته العينة من خلال استعمال المنهج الوصفي. لقد كان عدد الاستمارات 100 أي 55 طالبة و 45 طالبا من المعهد وهي تمثل من 20% مجموع الدراسة البالغ (500 فردا).

تم توزيعهم عبر مراحل مختلفة من 01 إلى 10 ماي 2016 في المعهد حاولنا فيها أن تكون العينة متمازجة، حتى نتمكن من الحصول على إجابات لمجموع أسألنا ونرصد بعض المواقف والتصورات حول تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتأثيرها على العلوم الاجتماعية.

ثانيا: المنهجية الكيفية

- تقنية الملاحظة

تطرقنا إلى الملاحظة " بالانتباه المقصود والموجه نحو سلوك فردي أو جماعي معين بقصد متابعة ورصد تغيراته ليتمكن الباحث من وصف السلوك أو وصفه وتحليله أو وصفه وتقويمه"⁵، فهي إذن تساعد على مراقبة التحركات الاجتماعية وبناء فهم حول الظاهرة المدروسة كما تساعد الباحث أن يصل إلى فهم أعمق للظروف المحيطة بالسلوك وأن يرصد ألوانا عديدة في السلوك الخفي غير الظاهرة عادة ولذلك "تعين الباحث على أن يصل إلى مصادر المعلومات وإلى إخباريين أكفاء أكثر مما يستطيع باحث عابر"⁶، لذلك فإن الملاحظة بالمشاركة أولا ستساعد على تكوين مادة أولية من التعبيرات الرمزية والتصورات التي ستساعده على معرفة الاتجاهات الاجتماعية السائدة حول الظاهرة الاجتماعية المنتشرة من ناحية إضافة إلى معرفة الفاعلين في البحث الذي يقوم بدراسته. لذلك فإن تقنية الملاحظة ستسهل معرفة مدى تأثير تكنولوجيا الاتصال الحديثة على العلوم الاجتماعية.

2- الاشكالية

إن تنوع مصادر ووسائل الاتصال الحديثة بعد الثورة وانتشار الإذاعات الخاصة والاهتمام بالبرامج الربحية وتغيب العلوم الاجتماعية من خلال التعريف بأهم الإنتاجات العلمية الجديدة وتراجع مردودية وسائل الاتصال. وهنا جاءت هذه الدراسة لوضع تصور حول علاقة تكنولوجيا الاتصال الحديثة بالعلوم الاجتماعية. وبناء على ما سبق ذكره يمكن تحديد مشكلة الدراسة كما يلي:

هل ساهمت وسائل الاتصال الحديثة بعد الثورة التونسية في الاهتمام بالعلوم الاجتماعية أم زادت في تعميق الأزمة؟ وإلى أي مدى تساهم العلوم الاجتماعية في الرقي بوسائل الاتصال الحديثة؟.

3- الفرضيات

- وسائل الاتصال الحديثة بعد الثورة التونسية ساهمت في تعميق أزمة العلوم الاجتماعية.
- العلوم الاجتماعية كديناميكية المجموعة تساهم في الرقي بتكنولوجيا الاتصال الحديثة.
- لوسائل الاتصال الحديثة أهمية في تداخل مصادر المناهج وتنوعها.

4- تحديد المفاهيم

تتمثل هذه المفاهيم في أبرز الأفكار والآراء المرتبطة ترابطاً منطقيًا، لهذا فإنه من المهم تعريفها حتى نتمكن من فهمها في سياق البحث، والاستئناس بها في فهم مجموعة من المعتقدات حول شيء معين. وتعريف أهم المصطلحات الموجودة في الموضوع، ولذلك قمنا بالاستعانة بجملة من المفاهيم المركزية لفهم سياق الدراسة على النحو التالي:

4-1- مفهوم تكنولوجيا الاتصال

كلمة تكنولوجيا هي من أصل يوناني، وتتكون من مقطعين، المقطع الأول Techno وتعني المهارة أو الفن، والمقطع الثاني "لوجيا" Logy التي تعني العلم، ويكون معنى الكلمة كلها "علم الوسيلة" والذي بها يستطيع الإنسان أن يبلغ مراده⁷، أي أن تقوم بأداء الأعمال بناءً على خطط مسبقة، وتؤديها بكل مهارة وإتقان لكي يكون عملك غير مكرراً أو تقليدياً، فالتكنولوجيا تعني التميز.

وهي "مجموع الآلات والآليات والأنظمة ووسائل السيطرة والتجمع والتخزين ونقل الطاقة والمعلومات كل تلك التي تخلق لأغراض الإنتاج والبحث والحرب"⁸.

أما الاتصال هو أحد العمليات الاجتماعية التي ظهرت منذ وجود الإنسان، والتي لا يمكن العيش بدونها، ويقوم الإنسان بالتواصل مع الآخرين ومشاركتهم أفكاره ومشاعره، من خلال توفر عناصر أساسية وهي: المرسل، المستقبل أو المرسل إليه، الوسيط الناقل، والرسالة، وهذه العناصر تحقق التكامل في عملية الاتصال.

أما تكنولوجيا الاتصال تمثل الجهود التي يبذلها الإنسان، وطريقة التفكير التي يستخدمها لنقل المعلومات، المهارات، الخبرات، الأفكار والعناصر البشرية وغير البشرية المتاحة من خلال اكتشاف وابتكار وسائل تكنولوجية تساعد في عملية إيصال المعلومات بكل سهولة، ووضوح ومهارة عبر العمليات الاتصالية التي يتم بمقتضاها تفاعل بين مرسل ومستقبل ووسيط ناقل ورسالة تحتوي على مضامين اجتماعية معينة، وفي هذا التفاعل يتم نقل أفكار وتوصيل ومعلومات ومنبهات بين الأفراد عن قضية معينة، وأيضاً يمكن الاتفاق على أن الاتصال هو عملية مشاركة في الأفكار والمعلومات، عن طريق عمليات إرسال وبث للمعنى بطريقة مفهومة،

وتوجيهها وتسييرها نحو الآخرين، ليتم استقبالها بكفاءة وفهم واضح، لخلق الاستجابة المرجوة من الآخرين، ولأجل تحقيق هدف معين أو بلوغ غاية يطمح إليها الفرد. كما تتمثل تكنولوجيا الاتصال كما أكدها الباحث روبن وبرنت أنها "أي أداة أو وسيلة تساعد على إنتاج أو توزيع أو تخزين أو استقبال أو عرض البيانات. وتمثل العمليات التي تقوم على الإنتاج وتبادل المعلومة وخاصة من ناحية سرعة الإرسال باستخدام الشبكات الأرضية والأقمار الصناعية والحاسوب.

2-4- مفهوم ديناميات المجموعة

ارتبط هذا المفهوم بالممارسة المهنية لطريقة العمل مع الجماعات بمجموعة من المواجهات الأساسية توجه أخصائي الجماعة إلى جوانب أساسية من أجل تحقيق أهداف الممارسة. ويقصد بالموجهات المهنية "الاسترشاد بمجموعة من الحقائق والأسس المهنية لطريقة العمل مع الجماعات كذلك الالتزام بما يتناسب مع طريقة الممارسة من مفاهيم ومبادئ يتميز بها الأخصائي الاجتماعي الذي يعمل مع الجماعات دون غيره من الأخصائيين".

كما نقصد بفلسفة العمل مع الجماعات في دينامية المجموعة "العمل مع الجماعات هي مجموعة من الحقائق التي تقوم عليها الطريقة، ويتم تحديد تلك الحقائق من خلال سلبيات البحث والتفكير وتبادل الآراء بين الخبراء والمتخصصين"¹²، خاصة من خلال التعلم "والتدرب على إشباع السلوك الديمقراطي حتى يصبح من الجوانب المميزة لشخصية كل فرد في الجماعة. ويعتقد البعض أن السلوك الديمقراطي هو السلوك الواضح في المجالات السياسية فقط دون التعرض للجوانب الاجتماعية المختلفة" ولكن استفادت خدمة الجماعة من المضمون الأساسي لمفهوم الديمقراطي الذي يركز على المشاركة في الفكر والعمل والإدارة وأن تكون هناك إدارة ذاتية في وسائل الاتصال ولا تسلط لأي فرد على الآخرين وأن يتم ذلك بناء

على احترام كرامة الإنسان، الإحساس بالمسؤولية، والحصول على الحقوق وأداء الواجبات.

لذلك تمثل دينامية المجموعة من أهم الوسائل التي تعتمد في العلوم الاجتماعية من خلال التفاعل الجماعي لممارسة العمل مع الجماعة خاصة في وسائل الاتصال "حيث أن هناك وسائل متعددة تستخدم في العمل مع الجماعات أهمها الجماعة كوسيلة أساسية وكذلك البرامج كوسيلة تتضمن مجموعة الأنشطة، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا من خلال إطار التفاعل الجماعي"¹⁴.

الحقيقة تؤكد أن كل موقف تفاعلي في حياة الأفراد له أهمية أساسية لتحقيق أهداف نسعى إليها خاصة من خلال ممارسة طريقة العمل مع الجماعات وهذا يتطلب:

- ضرورة مشاركة كل فرد في عملية التفاعل.
- التفاعل الإنساني قوة دافعة للتعبير والتعليم والتدريب.
- التجمع والتماسك والانسجام إضافة إلى أن عدد أفرادها يزيد عن اثنين.

4-3- مفهوم العلوم الاجتماعية

ليس من السهل أن نتصور حدودا واضحة تفصل فصلا محددا بين فروع العلوم الاجتماعية المختلفة. ذلك لأن الإنسان هو موضوع اهتمامها جميعا وإن تباينت الزوايا التي يتناولها كل علم منها بالدراسة والتحليل، ومع ذلك فإن معرفة حدود كل علم يهتم بدراسة الإنسان وما يصدر عنه من تصرفات تكشف عن ملامح عديدة تميز كل فرع من هذه الفروع عن الآخر.

وهي تتكون من شطرين العلم مفرد العلوم وهي من علم يعلم علما بمعنى أدرك حقيقة الشيء، اجتماعي مفرد اجتماعيات وهو يعني ذلك الفضاء الذي تحدث فيه الظواهر الاجتماعية ويسبب تجمع الأفراد في جماعات وما ينتج عنها من علاقات سواء كانت أولية أو ثانوية والعلوم الاجتماعية ظهرت في القرن التاسع عشر وهي جزء من العلوم التي تدرس مظاهر الحياة البشرية وتعني الإنسان تحديدا

وتميل إلى دراسة الحاضر والمستقبل وجميع تخصصاتها هي عبارة عن مجموعة فروع تتصل بعلم الاجتماع الذي يعد علما محوريا من بين هذه العلوم، كما أنها تتخذ من الظاهرة الاجتماعية التي ينتجها الأفراد موضوعا لدراساتها والمجتمعات البشرية مجالا لتحقيقها والمنهج العلمي الحديث سبيلا للكشف عن علاقتها السلبية وهي أيضا مجموعة العلوم التي تهتم بالجانب الاجتماعي للإنسان لدراسة المجتمعات البشرية وقد تعتبر فرع من فروع العلوم الإنسانية ويعتبر ميدانها المعرفة الإنسانية التي تدرس العلاقات الاجتماعية¹⁵.

إن العلوم الاجتماعية التي نعنيها هنا هي تلك العلوم التي تهتم بالإنسان مهما اختلفت زوايا رؤيتها أو مناهجها في دراسة ذلك الإنسان وفي علاقته بالإنسان الآخر أو جماعة أو دولة أو مؤسسة وهي علم اجتماع وتاريخ واقتصاد وسياسة وأنثروبولوجيا واللغة والإدارة والقانون والجغرافيا وعلم النفس. وتختلف العلوم الاجتماعية عن بعضها في زاوية المعالجة التي ينظر إليها أي متخصص وفي كيفية الحل والعلاج وإن العلوم الاجتماعية لا تنفصل عن علم الاجتماع لأنها تتربط فكلها تدرس الإنسان والسلوك.

5- أهمية وسائل الاتصال في التعريف بالمنتجات العلمية في العلوم الاجتماعية

1.5 أهم مصادر وسائل الاتصال الحديثة.

جدول رقم 1: أهم مصادر وسائل الاتصال الحديثة

الجنس	ذكور		إناث	
	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
التلفزيون	5	11.1	8	14.6
الراديو	10	22.2	12	21.8
الانترنت	30	66.7	35	63.6
المجموع	45	100	55	100

المصدر: الدراسة الميدانية

من خلال استجواب أفراد العينة اتفق الأغلبية في أنّ الانترنت أحد أهم الوسائل الاتصالية التي تعرف العديد من البحوث الاجتماعية وذلك انقسمت بنسبة 66.7% للذكور، وب-63.6% إناث. وبلغت نسبة العينة الجمالية للجنسين 65%.

كما نلاحظ من خلال هذا الجدول أن نسبة 22% من مجموع العينة يعتبرون أن لراديو أهمية من حيث التعريف بالبحوث الاجتماعية فبلغت نسبة الذكور 22.2% ونسبة الإناث ب-21.8% وهو ما يؤكد لنا أن العلوم الاجتماعية تعرف أزما متتالية باعتبار اقتصارها على الانترنت والراديو فنجد نسبة 13% من مجموع العينة فقط تعتبر التلفزيون تعرف بالبحوث الاجتماعية نتيجة لسيطرة الرأسمالية على المشهد الإعلامي من خلال الترويج للمنتوجات الربحية وعدم الاعتناء بالمجال الفكري والاجتماعي لغاية النهوض بالمجتمعات، إضافة إلى تراجع نسبة المطالعة، والتّوق إلى عدم الاعتناء بالثقافة كما قال سعيد توفيق في هذا المجال في كتاب له بعنوان "أزمة الإبداع في ثقافتنا المعاصرة"، لذلك أصبحت (الثقافة) تشكو من ظاهرة غياب الإبداع لكن في المجتمعات العربية في زمن العولمة هناك صراع بين التّراث والمعاصر وذلك من خلال رفض عديد الفئات الإبداع بحجّة التأويل الخاطئ للتّراث فأني أرى في الوقت نفسه أنّ "تأويل التّراث" يرتبط بعلاقة وثيقة بمفهوم الإبداع.

إن التّراث يكون دائما مرتبطا بالماضي حتّى حينما نحاول بعثه ليحيا في الحاضر بهدف الإبقاء على هويّتنا ولكن هويتنا تكمن أيضا فيما نبدعه، والإبداع بطبيعته يظلّ دائما مرتبطا بالجديد الذي نتجاوز فيه الماضي، وهذا مناط بالإشكالية في وضع التّاريخ الرّاهن للأمة العربية الإسلامية، فالإبداع لا يمكن أن يتحقّق إذا ظلّ الماضي حاضرا فينا حضورا راسخا قويا بكلّ لحظاته السكونيّة¹⁶ أي أنّ هناك دعوة إلى أخذ الإيجابيات من الماضي وإلى التّطوير والاعتناء بالإبداع خاصّة مع أزمة الإنسان في المجتمع المعاصر الذي يعيش ملأ وضغطا في الحياة اليوميّة، لذلك

فلا إلام أهمية من حيث التوجيه الثقافي والاعتناء بهذه العلوم من خلال التعريف بعدد من الشخصيات التاريخية والأدبية في مجالات متنوعة في العلوم الاجتماعية وذلك لغاية انتشار فكر علم الاجتماع لمعالجة أهم الظواهر الاجتماعية المتفشية في وقتنا الحاضر إضافة إلى أهمية علم النفس في مساعدة الشباب على العيش في حياة تسودها العزيمة والمبادرة عوض التشائم والقلق الذي أطلق عليه فرويد "قلق في الحضارة" لا يمكن هذا الوضع أن يكون إلا انعكاساً للصراع الذي يعتمل داخل كل فرد بين اندفاعتين ماثلتين لديه: اندفاع نحو الحياة من جهة، واندفاع نحو الموت من الجهة الأخرى وافتقاد السعادة واعتبر أن علم النفس قادر أن يفسر كل ما يدور في حياة الإنسان.

5-2 أسباب عدم الاعتماد على التلفزيون في التعريف بالبحوث الاجتماعية

جدول رقم 2: أسباب عدم الاعتماد على التلفزيون في التعريف بالبحوث الاجتماعية

الأسباب	ذكور		إناث	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
أسباب اقتصادية	26	57.8	27	49.1
أسباب سياسية	07	15.5	15	27.3
أسباب اجتماعية	04	8.9	03	5.5
أسباب ثقافية	08	17.8	10	18.1
المجموع	45	100	55	100

المصدر الدراسة الميدانية

نلاحظ من خلال الجدول أنّ مجموع أفراد العينة اعتبروا أن الأسباب الاقتصادية من أهم العوامل التي تساعد على عدم التركيز على البحث العلمي نتيجة لتحول القنوات الفضائية إلى شركات تصدر المنتوجات عبر الإشهار لتتوق إلى الربح ولقد عبرت لنا 57.8% من الذكور ونسبة 49.1% من الإناث أي أن 53% من

مجموع العينة الجمالية من خلال محاولة القنوات الفضائية إلى تحصيل قدرات مالية ضخمة. إضافة إلى أن بعد الثورة التونسية هناك توجه إلى التركيز على البرامج السياسية التي تحظى بدرجة عالية من المشاهدة فبلغت نسبة 22% من مجموع العينة أي 15.5% لذكور ونسبة 27.3% للإناث "و لقد تشكلت وبسرعة لوبيات إعلامية جديدة على خلفية إيديولوجية وسياسة في مشهد إعلامي مغاير قوامه المحاور التالية:

المحور اليساري الليبرالي التي تنازلت عن الأيديولوجيا البروليتارية ودكتاتوريتها وعن الاشتراكية العلمية وقوانينها الحتمية وعن مقولة الصراع الطبقي المحرك الرئيس للتاريخ وتحالفت مع الليبراليين والرأسماليين والدستوريين والبوريقبين والفرنكفونين وقد أطلقوا على أنفسهم جميعا الحداثيين¹⁷، إضافة إلى أهمية العوامل الثقافية التي بلغت نسبة 18% من مجموع العينة ولذلك كانت وسائل الاتصال لا تركز في برامجها على المجال الثقافي من خلال سيطرة ثقافة البرامج الربحية السياسية والفنية التي تحظى بأكثرية المشاهدة إضافة إلى بناء الشخصية القاعدة التونسية على حب الترفيه وعدم قداسة التشغيل " فالشخصية التونسية تكاد تكون غير حريصة على العمل بل هي تعتبره حالة اضطرارية وربما إكراهية. الأمر الذي قد يفسر ولو جزئيا هذا الحرص على اكتساب موقع في صلب هيكل العمل الحكومي"¹⁸، وهذه العوامل ساهمت في هيمنة الصورة التي تفتنت تقنيات الاتصال في إبداعها وبنائها من أجل السيطرة على عقول الناشئة والتحكم في وعيها وتوجهاتها والقضاء على كل أشكال الاختلاف الذي يشكل عنصرا من عناصر توازن العالم، "فالإبداع الثقافي الذي تقّمه وسائل الإعلام غالبا ما يكون نتاج مجتمعات أخرى أوله طابع عالمي مفصول عن الزمان والمكان"¹⁹ ولقد حضر "بيار بورديو" في كتابه (sur la télévision) عن حذره الشديد من التأثيرات الثقافية للتلفزيون فالمشهد

الاتصالي أصبح محكوم بقانون الربح ويغيب الاهتمام بالعلوم الاجتماعية من خلال توفير برامج قارة تعنى بالإصدارات الجديد وترتقي بالمرحلة الراهنة للبلاد التونسية التي أصبحت لا تقدر الرتب العلمية وتركيز المؤسسات الحكومية في الدولة على فئات أقل مستوى حيث نجد نسبة كبيرة من غير الحاصلين على شهادات علمية وهو ما يؤثر على المرحلة المستقبلية للبلاد التونسية من خلال كثرة عمال الآليات والحضائر مقارنة بقلة انتداب أصحاب الشهادت العلمية فكل هذا السياسات تساهم في انتشار أزمة في هذه العلوم سواء من ناحية أزمة الإبداع أو أزمة التجديد ودراسة الماضي بعقل الحاضر فظاهرة الربح في المؤسسات الإعلامية " تحمل القسط الأكبر من مسؤولية تمييع الثقافة لأنّ سلطانه ازداد وهيمن على مجمل النشاط والإنتاج الثقافي...فهو يخلق الانطباعات بدل الأفكار ويشجع العواطف بدل التفكير ويخاطب الأحاسيس أكثر من العقل"²⁰ فمنطق السوق هو الذي يتحكم في عملية الإنتاج الثقافي، فأصحاب الفضائيات والشركات الإعلامية لا يهتمون بالمضامين بقدر حرصهم واهتمامهم بالربح السريع، " فمنطق التجارة هو الذي يتحكم في الاتصال وهو الذي يهيمن على مختلف الإنتاجات الثقافية"²¹.

6- أهمية العلوم الاجتماعية في الرقي بوسائل الاتصال الحديثة

إن فهم طبيعة الحياة الاجتماعية لا يكون إلا من خلال فهم الجماعة وديناميكيته فالجماعة هي "وحدة اجتماعية تتكون من فردين أو عدد من الأفراد بينهم علاقة صريحة على النحو يسمح بأن يدرك الأنا الآخر كعضو في الجماعة، و لكل فرد من أفراد الجماعة دوره الذي يؤديه"²² ويعرفها معوض بكونها "وحدة اجتماعية تتكون من ثلاثة أشخاص فأكثر يتم بينهم تفاعل اجتماعي. وعلاقات اجتماعية وتأثير انفعالي ونشاط متبادل على أساسه تتحدد الأدوار والمكانة الاجتماعية لأفراد الجماعة وفق معايير وقيم الجماعة إشباعا لحاجيات أفرادها ورغباتهم وسعيا لتحقيق أهداف

الجماعة دائما²³ وتتميز الجماعة بعدة خصائص كالتجمع والتماسك والانسجام إضافة إلى أن عدد أفرادها يزيد عن اثنين، فضلا عن خاصية الانتماء والعمل الجماعي من أجل تحقيق هدف مشترك، وتبادل التفاعلات والأدوار والوظائف.

لذلك ارتبطت الممارسة المهنية لطريقة العمل مع الجماعات بمجموعة من الموجهات الأساسية توجه أخصائي الجماعة إلى جوانب أساسية من أجل تحقيق أهداف الممارسة. ويقصد بالموجهات المهنية الاسترشاد بمجموعة من الحقائق والأسس المهنية لطريقة العمل مع الجماعات كذلك الالتزام بما يتناسب مع طريقة الممارسة من مفاهيم ومبادئ يتميز بها الأخصائي الذي يعمل مع الجماعات دون غيره من الأخصائيين.

وتعتبر العلوم الاجتماعية المتمثلة خاصة في علم النفس وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي من أهم الأسس التي تساهم في تطوير وسائل الاتصال الحديثة من خلال التعامل الإيجابي مع هذه الوسائل باعتماد نظريات العلوم الاجتماعية وهو ما يبرزه الجدول التالي:

جدول رقم 3: مدى مواكبة برامج الاتصال لتقنيات ديناميكية المجموعات

مواكبة تقنيات ديناميكية المجموعات		ذكور		إناث	
نعم	لا	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
20	11	22.2	10	20	11
80	44	77.8	35	80	44
100	55	100	45	100	55

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن نسبة 79% من مجموع العينة اعتبروا أن برامج الاتصال الحديثة وخاصة التلفزيون لا تعتمد على تقنيات ديناميكية المجموعات في تسهيل الحوارات وخاصة من خلال الوصول إلى حد مغادرة مستظيفين للبرامج، إضافة إلى وجود فقرات رديئة من حيث الإنتاج من خلال ضرورة الاعتماد على هذه

التقنيات فيكون البرامج وسيلة تتضمن مجموعة الأنشطة، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا من خلال إطار التفاعل الجماعي فالحقيقة تؤكد أن كل موقف تفاعلي في حياة الأفراد له أهمية أساسية لتحقيق أهداف نسعى إليها من خلال ممارسة طريقة العمل مع الجماعات.

جدول رقم4: مبادئ طريقة العمل مع الجماعات في وسائل الاتصال

المبادئ		ذكور		إناث	
التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
04	8.9	05	09.1	التعرف على الهدف الجماعي في وسائل الاتصال	
13	28.9	10	18.2	حسن تسيير المجموعة	
06	13.3	08	14.5	مراعاة الاختلاف في المجموعة	
04	8.9	09	16.4	احترام مبدأ فردية العضو والجماعة	
05	11.1	07	12.7	مبدأ توجيه التفاعل الجماعي	
05	11.1	05	09.1	التنظيم الوظيفي للجماعات	
08	17.8	11	20	مبدأ الدراسة والبحث المستمر	
45	100	55	100	المجموع	

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن من أهم مبادئ العمل مع الجماعات في وسائل الاتصال تتمثل في حسن تسيير المجموعة التي بلغت بنسبة 23% من مجموع أفراد العينة من خلال " تحديد وظيفة المؤسسة وما يرتبط بها من شروط وأغراض لها أهميتها. دراسة حاجيات ورغبات الأعضاء الراغبين في الانضمام للجماعة وتعريفها وإعلامها على جميع الأعضاء وتحديد ماهي الرغبات والحاجيات الممكنة"²⁵

فحسن تسيير المجموعة في البرامج الإعلامية يساهم في نجاحه وتحقيق
 عديد من الأهداف التي لا تركز على الأهداف الاقتصادية وإنما تتعدى ذلك لنجد
 الأهداف الثقافية والاجتماعية من خلال بناء لمنوعات قائمة على أسس علمية دقيقة.
 أما نسبة 19% من مجموع العينة أي 17.8% لذكور ونسبة 20% نسبة الإناث
 اعتبروا أن هناك أهمية لمبدأ الدراسة والبحث المستمر، ولذلك يستعين القائمين على
 البرامج الإعلامية بديناميكية المجموعة وذلك من توفير مجموعة أعضاء يتميزون
 بالمهارات والخبرات المتنوعة والمتعددة وتصبح الجماعة بالتالي كمصدر للموارد
 التي يسعى إلى الحصول عليها كعامل مساعد لتحقيق أهداف الجماعة حيث أن تفاعل
 الموارد المختلفة وتحقيق كيان جماعي متميز يسهم في تدعيم إنجازات الجماعة
 المختلفة" كالتماسك الاجتماعي كمورد معنوي واجتماعي يؤدي إلى نجاح الجماعة
 في تحقيق أهدافها"²⁶ إضافة إلى أن نسبة 14% من مجموع أفراد العينة بينوا
 ضرورة مراعاة الاختلاف في المجموعة وذلك لغاية بناء لحياة الفكرية قائمة على
 احترام الآخر. أما نسبة 13% من مجموع أفراد العينة دعوا إلى احترام مبدأ
 التفريد أو فردية العضو والجماعة الموجود في "العديد من العلوم الإنسانية مثل
 العلوم السلوكية والقانونية حيث أننا لا يمكن أن ننظر للفرد أو الجماعة على أنها
 متشابهة تماما مع أفراد آخرين أو جماعات أخرى"²⁷، أما نسبة 12% بينوا ضرورة
 الاعتماد على مبدأ توجيه التفاعل الجماعي بحيث يعتبر "التفاعل هو محور الحياة
 الجماعية، ويتكون التفاعل مع الأفعال وردود الأفعال الصادرة من الأعضاء
 والجماعة"²⁸، ونسبة 10% من مجموع أفراد العينة عبروا على ضرورة التنظيم
 الوظيفي للجماعات من خلال تنظيم العمل وأداء الواجبات وتحمل المسؤوليات بكيفية
 القيام بالأعمال المناسبة والقواعد المحددة لتلك الواجبات وتحديد المتطلبات
 والمحددات المرتبطة بها. وتمثل نسبة 9% من مجموع أفراد العينة من خلال

ضرورة التعرف على الهدف الجماعي في وسائل الاتصال وذلك في تقسيم الأهداف إلى أهداف جزئية أو فرعية في حالة إذا كانت هناك صعوبة في تنفيذ الهدف الكلي أو التعرف عليه ومساعدة العمل الإعلامي على تذكير بالهدف الجماعي في مراحل الحياة الجماعية وإجراء التعديل المطلوب بشرط عدم تغيير الهدف الأساسي.

وخلاصة القول أن نسبة هامة اعتبرت أن وسائل الاتصال الحديثة وخاصة التلفزيون لا تعتمد على ديناميكية المجموعة في تسيير برامجها بحيث تمثل العلوم الاجتماعية (كديناميكية المجموعة) من أهم المجالات التي تساهم في الرقي بوسائل الاتصال الحديثة من خلال الاعتماد على تقنيات علمية لغاية بناءها على عديد من الأسس الهامة مثل حسن تسيير المجموعة والاعتماد على مبدأ الدراسة والبحث المستمر لغاية التجديد في وسائل الاتصال وخاصة الإعلام وضرورة التقيد بشروط ديناميكية المجموعة من خلال ضرورة مراعاة الاختلاف والتفريد أو فردية العضو والجماعة، إضافة إلى التفاعل الإيجابي والتنظيم الوظيفي للجماعات وضرورة التعرف على الهدف الجماعي في وسائل الاتصال.

7- مساهمة وسائل الاتصال الحديثة في تداخل مصادر المناهج وتنوعها

7-1 - وسائل الاتصال الحديثة وتأثيرها في العلوم الاجتماعية

وسائل الاتصال من أهم العوامل التي ساهمت في حدوث عديد من التغيرات في العالم وذلك من خلال تدني مكانة العلوم الاجتماعية مقارنة بالعلوم التطبيقية والطبيعية وهو ما يبرزه الجدول التالي:

جدول رقم 5: مدى تأثير وسائل الاتصال الحديثة في العلوم الاجتماعية

تأثير وسائل الاتصال في العلوم الاجتماعية		ذكور		إناث	
نعم	لا	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
45	100	55	100	45	100
00	00	00	00	00	00
45	100	55	100	45	100

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن 100% من مجموع العينة اعتبروا أن لوسائل الاتصال دورا هام في تراجع مكانة العلوم الحديثة من خلال "العبث" باللغة العربية في شبكات التواصل الاجتماعية إضافة إلى قلة المطالعة من خلال تعدد الساعات الطوال التي يقضيها المستخدم العربي لفي سبوك أمام الشاشة ليست مجرد رقم جامد، بل للمسألة تداعياتها الصحية والاجتماعية والاقتصادية فهذا الوقت الطويل من شأنه أن يحوّل الإبحار من عملية معرفية مفيدة إلى هدر للوقت.

إضافة إلى ذلك انتشرت ظاهرة التكاثر في العالم وتراجع نسبة قراءة الكتب وهو ما يعتبر من أهم العوامل المساعدة على سيطرة العلوم التطبيقية والطبيعية على العلوم الاجتماعية من خلال تراجع إنتاج البحوث والكتب وسهولة انتقال المعلومة والحصول عليها إضافة من خلال اعتماد تقنيات حديثة للترجمة مختلف لغات الشعوب.

2-7 مساهمة وسائل الاتصال في تداخل مصادر المناهج وتنوعها

ساهمت وسائل الاتصال في تنوع مصادر المناهج من خلال الاعتماد على موسوعات علمية إضافة إلى وجود مكتبات إلكترونية وهو ما يساهم في تعددها. جدول رقم 6: أثر تداخل مصادر المناهج وتنوعها على الشباب العربي

الأثر	ذكور		إناث	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
تأثيرها على الهوية	03	6.7	08	14.6
عدم الدقة في البحوث الاجتماعية	07	15.5	32	58.1
تراجع الإبداع	35	77.8	15	27.3
المجموع	45	100	55	100

المصدر الدراسة الميدانية

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن لوسائل الاتصال تأثير كبير على الإبداع من خلال تراجعها سواء في الأدب أو في الفنون أو اللغة لذلك أثرت العولمة الاتصال على العلوم الاجتماعية من خلال "انتقال من لغة مفهومة على ارتباط بقواعد قاموسية أو جذور تاريخية واجتماعية إلى نوع جديد من العولمة اللغوية مسخ فيها الحرف العربي الذي صار ينطق عربيا ويكتب غربيا، وحتى الحاء والضاد والحاء والعين تمت عولمتها ومسخت رموزا وأرقام ففقدت خصوصيتها، ولم نعد أمة الضاد ولا الصاد"³⁰. إضافة إلى وجود نسبة 15.5% لذكور و 58.1% لإناث بينوا لنا أن لهذه الوسائل تأثيرا على الدقة في البحوث الاجتماعية من خلال تنوع وكثرة الكتب والمقالات التي تأثر في الحياة المستقبلية لطلبة العلوم الاجتماعية وذلك من خلال وجود معلومات عامة في الأنترنت لا تخدم المناهج العلمية.

أما بقية أفراد العينة فقد اعتبروا أنه لوسائل الاتصال تأثيرا على الهوية العربية. لكن هذا لا يخفي علينا أهمية وسائل الاتصال في تنوع مصادر المعلومة، حيث تتيح الإنترنت فرصة التعامل مع فئات متعددة من مصادر المعلومات، وتتنوع هذه الفئات وفقاً لمنشئها وتوجهاتها، كما تشمل كلا من المصادر الأولية، والمصادر الثانوية، ومصادر الدرجة الثالثة.

وفضلاً عن التعامل معها بوصفها مصدراً للمعلومات، فإنه يمكن الاستفادة من الإنترنت بصفقتها قناة للاتصال العلمي الرسمي وغير الرسمي من خلال البريد الإلكتروني، والنشر الإلكتروني، والارتباط بمجموعات الاهتمامات المشتركة، والمشاركة في المنتديات، والمؤتمرات الإلكترونية إلى آخر ذلك مما يرتبط بأنشطة الاتصال العلمي. وتنوعت دراسات الاستخدام التي ناقشت ذلك الموضوع من عدة نواحٍ مختلفة من قبل العديد من الباحثين بهدف الكشف عن الاحتياجات الفعلية من تلك المصادر والتعرف إلى المشاكل والصعوبات التي تعترضهم حيال

استخدامهم لتلك المصادر ومحاولة الوصول إلى نتائج تسهم بدورها في تحسين أوضاع خدمات المعلومات والإلكترونية على وجه الخصوص للمستفيدين.

وعلى العموم نقول بأهمية وسائل الاتصال في التعريف بالمنتجات العلمية في العلوم الاجتماعية، وكذلك أهمية العلوم الاجتماعية كديناميكية المجموعة في الرقي بوسائل الاتصال الحديثة، ومساهمة وسائل الاتصال الحديثة في تداخل مصادر المناهج وتنوعها.

خلاصة

تميزت وسائل الاتصال الحديثة بتنوع مصادرها من راديو وأنترنات وتلفزيون إلا أننا لاحظنا من خلال هذه الدراسة عدم تخصيص حصص في البرامج التلفزيونية تعنى بالمنتجات العلمية سواء للأساتذة أو الطلبة فالمشهد الاتصالي أصبح محكوم بقانون الربح ويغيب الاهتمام بالعلوم الاجتماعية، إضافة إلى تنوع أسباب غياب البرامج العلمية من خلال وجود لأسباب اقتصادية واجتماعية وثقافية. ويمثل أهم عامل لفهم طبيعة الحياة الاجتماعية لا يكون إلا من خلال فهم الجماعة وديناميكيته لغاية الرقي بوسائل الاتصال الحديثة من خلال الاعتماد على تقنيات علمية وبناءها على عديد من الأسس الهامة مثل حسن تسيير المجموعة والاعتماد على مبدأ الدراسة والبحث المستمر لغاية التجديد في وسائل الاتصال وخاصة الإعلام وضرورة التقيد بشروط ديناميكية المجموعة. كما ساهمت وسائل الاتصال في تداخل وتنوع مصادر المناهج التي أثرت إيجابيا من ناحية سهولة الحصول على المعلومة والمشاركة في المنتديات، والمؤتمرات الإلكترونية إلى آخر ذلك مما يرتبط بأنشطة الاتصال العلمي، إضافة إلى تأثيرها سلبيا من خلال تأثيرها على اللغة والهوية وعدم الدقة في البحوث الاجتماعية.

المراجع

- 1- عبد الدائم عبد الله، مستقبل الثقافة العربية والتحديات التي تواجهها، مجلة المستقبل العربي، العدد 26، 2000، ص40.
- 2- Maigert (E.), Sociologie et la communication et les médias, Paris, Armand Colin, 2013, p.22.
- 3- عبد القادر عرابي، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، دار الفكر، آفاق المعرفة المتجددة، 2007، ص13.
- 5- Calanes (Gloria), Communicating in group- applications and skills, 4th.Ed., U.S.A, mc Graw- Hill companies, 2000, p.1-38.
- 6- نصيق فهمي منقريوس، أساسيات وديناميات التدخل المهني في العمل مع الجماعات، المكتب الجامعي الحديث، 2011، ص32.
- 7- عبد الباسط محمد عبد الوهاب، استخدام تكنولوجيا الاتصال في الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني، دراسة تطبيقية ميدانية، المكتب الجامعي الحديث، 2005، ص82.
- 8- محمد الزعبي، التغير الاجتماعي، دار الطليعة، القاهرة، 1998، ص85.
- 9- حسن عماد مكاري، ليلي حسين، الاتصال ونظرياته المعاصرة، ط4، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2003، ص23.
- 10- محمد إبراهيم عيد، علم النفس الاجتماعي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2000، ص64.
- 11- http://mthmm.blogspot.com/p/blog-page_24.html 2017/01/05
- 12- سعيد توفيق، أزمة الإبداع في ثقافتنا المعاصرة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ص 12 - 13.

- 13- سالم لبيض، تونس: الثورة في زمن الهيمنة، منشورات مؤسسة الحصاد، تونس 2013، ص 323.
- 14- المنصف ونّاس، الشخصية التونسية محاولة في فهم الشخصية العربيّة، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2011، ص.134
- 15- عبد القادر بالشيخ، دور الإذاعة والتلفزيون في التنمية الثقافية، ندوة نظّمها اتحاد إذاعات الدول العربية، شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، القصبة، تونس، أكتوبر 1988، ص12.